الجامعة الإسلامية بمينسوتا
Islamic University of Minnesota
الفرع الرئيس

شرح الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية

د. أبوبكر الصديق عمر الفاروق القاضي

باحث دكتوراة السنة النبوية

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ثمّ أما بعد:
فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثمّ أما بعد: -

فهذا هوالمجلس الحادي عشر من شرح الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وقد بلغنا إلى ذكر شيخ الإسلام كلام الإمام عبد القادر الجيلاني.
قال شيخ الإسلام: "ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني.
وقد ذكر شيخ الإسلام عنه في كثير من فتاويه؛ لأنه في مسائل كثيرة وافق أهل السنة تمامًا.

قال الشيخ عبد القادر:" أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد".
إلى أن قال: "وهو بجهة العلو (والجهة لم تذكر في الأدلة ولكن المقصود بها الفوقية) مستو على عرشه (وهذا يوضح الاعتقاد السديد الذي عليه الشيخ عبد القادر)، محتو على الملك (ليس معناه أنه يحوي شيئًا في ذاته وإنما متصفًا به عز وجل)، محيط علمه بالأشياء(أي أنه يعلم كل شيء، لا أن علمه يحل في الأشياء)".

- قال تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر:١٠]
- قال تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة: ٥]

- المعراج الذي يعرج إليه -الذي يصعد إليه- من العمل الصالح، كل هذا دليل على أن الله فوق السماوات.

قال: "ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان".

- ذكرنا أن هذا الكلام يدل على الحلول في الأشياء، والله عز وجل مستو على عرشه، بائن من خلقه، لا يحل فيهم ولا يحلون فيه.

قال: "بل يقال أنه في السماء على العرش" في السماء: أي في العلو، أو في السماء بمعنى فوق السماء المخلوقة، "كما قال تعالى: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: ٥]".

- علا وارتفع استواء يليق بجلاله وكماله، وهو علو مخصوص على العرش، وهذا من غير أن يحيط به العرش.

قال: "وذكر آيات وأحاديث.

إلى أن قال: وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش.

قال: وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف".

- أي أننا لا نتكلم في الكيفية ونثبت المعنى ونفوض الكيف إلى الله.

"وذكر كلامًا طويلًا لا يحتمله هذا الموضع، وذكر في سائر الصفات نحو هذا، ولو ذكرت ما قاله العلماء في هذا لطال الكتاب جدًا".

➢ ثم انتقل إلى كلام أبي عمر بن عبد البر

قال أبو عمر بن عبد البر: روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والأوزاعي ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات أنهم كلهم قالوا: "أمروها كما جاءت".

- أي: دالة على معانيها، ونفوض الكيف إلى الله تبارك وتعالى.

قال أبو عمر: ما جاء عن النبي ﷺ لنقل الثقات، أو جاء عن أصحابه رضي الله عنهم؛ فهو علم يدان به".

- هذا ما جاء في الآيات أو جاء في الأحاديث، وكذلك ما أجمع عليه الصحابة، وكذلك ما ورد موقوفًا على الصحابة من أمور الغيب ولا يُعلم إلا من جهة النبي ﷺ فله حكم الرفع.
- وما قاله الصحابة موقوفًا ولا يحتمل أن يكون من إسرائيليات؛ فله حكم الرفع،أما ما احتمل أن يكون من الإسرائيليات؛ فهذا يدخل في حيز الاجتهاد.
- فالذي هو دين يدان به ما نقل عن الصحابة إجماعًا، أو من بعدهم في أي عصر اتفاقًا.
- والإجماع طبعًا ما أجمعت عليه الأمة في الألفاظ أو فهو مأخوذ من نصوص الكتاب والسنة.

قال: "وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم؛ فهو بدعة وضلالة".

- فما بالك بما يضاد ما جاء عنهم!

قال في(شرح الموطأ) لما تكلم على حديث النزول قال: هذا حديث ثابت النقل، صحيح من جهة الإسناد، ولا يختلف أهل الحديث في صحته".

- ينزل ربنا نزولًا يليق بجلاله وكماله.

قال: وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي ﷺ، وفيه دليل على أن الله {عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: ٥] من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الله تعالى في كل مكان بذاته المقدسة.

- وهذا ليس من قول المعتزلة، وإنما هذا من قول الجهمية ووافقهم بعض المعتزلة.

لكن هذا الأصل أنه ليس من كلام المعتزلة، فالمعتزلة ينفون أصلًا الزمان والمكان.

قال: "والدليل على صحة ما قال أهل الحق قول الله -وذكر بعض الآيات-، إلى أن قال: وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم.

وقال أبو عمر بن عبد البر أيضًا: "أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة:٧] هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله".

- طبعًا علمه: أي صفته القائمة به بلا نزاع.
- علمه في كل مكان: أن يعلم كل ما كان، يعلم كل شيء.

وقال أبو عمر أيضًا: " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك".

- يعني لا يدعون معرفة الكيف في ذلك، وإنما هناك كيف ولكنه مجهول نفوض أمره إلى الله.

"ولا يحدون فيه صفة محصورة".

- يعني لا يقولون فيه حدًا بمعنى كيفية، فما ورد حتى عن عبد الله بن أحمد أو غيره من أن الله مستو بحد، هذه الكلمة لم ترد في الكتاب والسنة، فلماذا نقول ما لم يرد في الكتاب والسنة؟!

"وأما أهل البدع: الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها".

- أي ينكرون الصفات ولا يحملون شيئًا منها على الحقيقة، يعني يحملونها على المجاز، أو يفوضون المعنى والكيف وكأنها حروف مقطعة.
- وأهل السنة يحملون الصفات على الحقيقة لا على المجاز، ويفوضون الكيفية ولا يفوضون المعنى.

قال: "ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود".

- هم في الحقيقة ينفون صفات الله لدرجة أنك تقول أنهم يعبدون عدمًا.

"والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول اللهﷺ وهم أئمة الجماعة، هذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب".

"وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه المتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري وذبه عنهم، قال في كتابه (الأسماء والصفات)"

- فهو ينسب إلى الأشاعرة ولكنه من متقدمي الأشاعرة، مع أنهم خاضوا في علم الكلام لكنهم كانوا يثبتون الصفات التي نفاها المتأخرون كصفة اليدين والقدم والاستواء، فأبو حسن الأشعري نفسه يثبتها.

قال: "باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين -لا من حيث الجارحة- لورود خبر الصادق به.

- قال الله تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥].
- وقال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة:٦٤].

وذكر الأحاديث الصحاح في هذا الباب مثل قوله في غير حديث في حديث الشفاعة:

- "يا آدمُ، أنتَ أبو البشَرِ، خلَقَكَ اللهُ بيَدِه" [صحيح البخاري].

ومثل قوله في الحديث المتفق عليه:

- " يا مُوسَى اصْطَفاكَ اللَّهُ بكَلامِهِ، وخَطَّ لكَ بيَدِهِ" [صحيح البخاري]، وفي لفظ: " وخطَّ لك التوراةَ بيدِهِ"

- ومثل ما في صحيحه: "وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده".
- ومثل قوله ﷺ: " تَكُونُ الأَرْضُ يَومَ القِيامَةِ خُبْزَةً واحِدَةً، يَكْفَؤُها الجَبَّارُ بيَدِهِ، كما يَكْفَأُ أحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الجَنَّةِ" [صحيح مسلم].

وذكر أحاديث مثل قوله:

- " بيَدِي الأمْرُ" [صحيح البخاري]
- "وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ" [صحيح مسلم]
- " والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ" [صحيح مسلم].
- " إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ" [صحيح مسلم].
- وقوله: " إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّ وجلَّ -وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ-" [صحيح مسلم].
- وقوله: "يَطْوِي اللهُ السماواتِ يومَ القيامةِ ، ثم يَأْخُذُهُنَّ بيدِه اليُمْنَى ، ثم يقولُ : أنا المَلِكُ أين الجَبَّارُونَ ؟ أين المُتَكَبِّرُونَ ؟ ثم يَطْوِي الْأَرَضِينَ ، ثم يَأْخُذُهن بشمالِه ، ثم يقولُ : أنا المَلِكُ أين الجَبَّارُونَ ؟ أين المُتَكَبِّرُونَ" [صحيح الجامع].
- وقوله: " يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لا تَغِيضُها نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ والنَّهارَ. وقالَ: أرَأَيْتُمْ ما أنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّماءَ والأرْضَ؟! فإنَّه لَمْ يَغِضْ ما في يَدِهِ، وكانَ عَرْشُهُ علَى الماءِ، وبيَدِهِ المِيزانُ يَخْفِضُ ويَرْفَعُ" [صحيح البخاري].

وكل هذه الأحاديث في الصحيح.

- وذكر أيضًا قوله: " لَمَّا خلقَ اللَّهُ آدمَ، فقالَ اللَّهُ لَهُ ويداهُ مَقبوضتانِ: اختَر أيَّهما شئتَ، قالَ: اختَرتُ يمينَ ربِّي وَكِلتا يدي ربِّي يمينٌ مبارَكَةٌ" [صحيح الترمذي].
- وحديث: " إنَّ اللهَ عز وجل خلق آدمَ، ثم مسح ظهرَه بيمينِه" [صحيح أبي داود].

إلى أحاديث أخرى ذكرها من هذا النوع.

ثم قال البيهقي: " أما المتقدمون من هذه الأمة، فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الأخبار في هذا الباب".

- التفسير هنا بمعنى الخوض في الكيفية، فإنها كما جاءت دالة على معانيها مفوضين الكيف إلى الله.

"وكذلك قال في الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية، مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين".

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب (إبطال التأويل): "لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة.

وذكر بعض كلام الزهري ومكحول مالك والثوري والأوزاعي والليث وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض ووكيع وعبد الرحمن المهدي والأسود بن سالم وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم في هذا الباب، وفي حكاية ألفاظهم طول.

إلى أن قال: ويدل على إبطال التأويل: أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها، ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغًا لكانوا أسبق إليه لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة".

- إذًا فحجية مذهب الصحابة وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه هذا هو حقيقة السلفية ومذهب أهل السنة والجماعة.

"وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام في كتابه الذي صنفه في (اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين)".

- وطبعًا هذا الكتاب منسوب إليه، وأثبت في الحقيقة عند الأشاعرة من كتاب الإبانة.
- وقد تسجل في هذين الكتابين وفي أيضًا إلى أهل الثغر رجوعه لمذهب أهل السنة، وللأسف أكثر الأشاعرة مع بيان ذلك ينكرون رجوعه عن مذهب الأشاعرة إلى مذهب أهل السنة.

قال: "وذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم.
ثم قال: (ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث): جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاء عن الله تعالى، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون شيئًا من ذلك.

وأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.
وأن الله على عرشه كما قال: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه:٥].
وأن له يدين بلا كيف، كما قال: {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥]، وكما قال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة:٦٤]

وأن له عينين بلا كيف، كما قال: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر:١٤]

وأن له وجهًا، كما قال: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن:٢٧]

ولم يؤولها للذات وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج.

- بل نقول أن لله أسماء، وأن الاسم للمسمى، وإن كانت من كلام الله عز وجل، فكلام الله غير مخلوق.

قال: وأقروا أن لله علمًا كما قال: {أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ} [النساء:١٦٦]، وكما قال: { وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} [فاطر:١١].

وأثبتوا له السمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة.

وأثبتوا لله القوة كما قال: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} [فصلت:١٥].

وذكر مذهبهم في القدر.

إلى أن قال: ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في اللفظ والوقف، من قال: باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم".

- الذي يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق، أو اللفظ بالقرآن غير مخلوق؛ كلاهما مبتدع لأن هذه الكلمة موهمة.
- فمن قال اللفظ بالقرآن مخلوق هذا -كلمة لفظ هذه تشمل أو تعم ألفاظ القرآن أو تلفظك بألفاظ القرآن- هو لو يقصد تلفظه وهو فعل العبد فهو مخلوق فهذا ليس فيه إشكال.
- إنما لو قصد أن ألفاظ القرآن مخلوقة، فقد قال بهذا المعتزلة، فلذلك اللفظ موهم، فلا يقال فيه اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ لأنه لو قال: إن تلفظه بالقرآن

غير مخلوق، فهذا أيضًا باطل؛ لأن أفعال العباد مخلوقة، ولأن اللفظ موهم لا نقول به جملة.

قال: "ومن قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق.

ويقرون أن الله يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يُرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون، ولا يراه الكفار".

- خلاف مشهور بين أهل العلم في قضية رؤية الكفار والمنافقين لله عز وجل يوم القيامة، والصحيح أن كل أهل الموقف يرون ربهم يوم القيامة، ولكن الكافرون والمنافقون يرونه رؤية العبد الآبق من سيده، ينظر إليه نظرة غضب، ثم يحجبون عنه.
- أما رؤية المؤمنين له فهي رؤية نعيم.

قال: "لأنهم عن الله محجوبون، قال عز وجل: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} [المطففين:١٥]، وذكر قولهم في الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء أخرى".

- وهذا كلام أبي الحسن الأشعري.

"إلى أن قال: ويقرون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار.

إلى أن قال: وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة فيه، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلمون للروايات الصحيحة.

ولما جاءت به الآثار الصحيحة التي جاءت بها الثقات عدلًا عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ لا يقولون كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة عندهم".

- أي لا يسألون عن كيفية صفات الله عز وجل، ولما فعل الله ذلك؟ وإن كان يوجد قدر من الحكم التي أخبرنا الله عن أسباب أفعاله، ولكن إذا استغلق الأمر علينا؛ فنفوض ونقول إذًا: {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:٢٣].

"إلى أن قال: ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة، كما قال تعالى: {وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر:٢٢].

وأن الله يقرب من خلقه كيفما شاء كما قال تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق:١٦]

- وهذا هو الصحيح، وأن تفسيرها: أن الله تبارك وتعالى فوق العرش كما يليق بجلاله وكماله، وهو قريب من عباده قرب إحاطة وخبرة وعلم وقدرة.
- وليس اللفظ أو السياق عن الملائكة -كما ذكر ذلك شيخ الإسلام- فهذا تفسير بعيد.

قال: "إلى أن قال: ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الفقه، مع الاستكانة والتواضع، وحسن الخلق، مع بذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة والشكاية، وتفقد المآكل والمشارب -أن تكون من حلال الورع.

قال: فهذه جملة ما يأمرون به، ويستسلمون إليه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان.

وقال الأشعري أيضًا في (اختلاف أهل القبلة في العرش) فقال: "قال أهل السنة وأصحاب الحديث: أن الله ليس بجسم".

- وهذا اللفظ لم يرد في قرآن ولا سنة، فلا يثبت ولا ينفى؛ لأن بعض من نفاه أنكر بعض الصفات لله من اليدين والقدم والعين وغير ذلك.
- بل نحن نثبت ما أثبته الله لنفسه، وننفي ما نفى الله عن نفسه.

قال: "ولا يشبه الأشياء، وأنه استوى على العرش كما قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥]، ولا نتقدم بين يدي الله ورسوله في القول؛ بل نقول: استوى بلا كيف".

- أي بلا كيف معلوم، لكن هناك كيف ولكننا نفوضه إلى الله، ولا نفسرها بالاستيلاء كالتأويل الباطل، وصرف اللفظ عن ظاهره إلى المحتمل المرجوح بغير دليل.
- طبعًا كل هذه المعاني قد مررنا عليها من أول الكتاب بفضل الله.

قال: "وأن له وجهًا، كما قال: {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن:٢٧].

وأن له يدين كما قال تعالى: {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥].

- لا نقول أنها قدرة، ولا نقول عن الوجه أنه ذات.

"وأن له عينين، كما قال تعالى: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر:١٤].

وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } [الفجر:٢٢]

وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئًا إلا ما وجدوه في الكتاب، أو جاءت به الرواية عن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_

وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش، بمعنى استولى، وذكر مقالات أخرى.

وقال أيضًا أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه (الإبانة في أصول الديانة)، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه، عليه يعتمدون في الذب عنه عندما يطعن عليه فقال: -

- هذا الكلام من أمامة قول أهل الحق والسنة، وتصحيح الأشعري بالتزام مذهب الإمام أحمد.

"فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل -نضر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم".

- لترتباته في المحنة الإمام أحمد رحمه الله؛ لأنه نصر قول أهل السنة على قول الجهمية والمعتزلة في فتنة خلق القرآن.

"وجملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرد من ذلك شيئًا".

- إذًا لا توجد تفرقة ولا تقسيم للآحاد والمتواتر.

"وأن الله واحد، لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله مستو على عرشه كما قال تعالى: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه:٥].

وأن له وجهًا، كما قال: {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن:٢٧].

وأن له يدين بلا كيف، كما قال: {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥]، وكما قال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة:٦٤].

ون له عينين بلا كيف كما قال: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر:١٤].

وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالًا"

- بل نقول: الإسم المسمى كما ذكرنا.

"وذكر نحوًا مما ذكر في الفرق.

إلى أن قال: ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان".

- يعني كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن.

"وليس كل إسلام إيمانًا، وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل، وأنه عز وجل يضع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إلى أن قال: وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلًا عن عدل، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- وتعريف الحديث الصحيح: نقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ.
- مسألة أن الاسلام أوسع من الإيمان، أن كل مؤمن مسلم؛ لأن الإيمان يشمل القول والعمل، الاعتقاد الباطن والعمل الظاهر خلاف الإسلام حين يقترن بالإيمان، فالإسلام يرتبط بالظاهر.
- كل مؤمن مسلم، وليس لكل مسلم مؤمن، فهو أوسع - المسلمين أوسع من المؤمنين-، فالإسلام أوسع من الإيمان بالنسبة للأشخاص؛ لأن الإسلام يشمل المؤمنين وناقصي الإيمان ومرتكبي الكبائر الذين يستحقون مطلق الاسم، ولا يستحقون الاسم المطلق الذي هو كمال الإيمان.
- يعني: فليس كل مسلم مؤمن، وليس كل إسلام إيمانًا بالنسبة للأشخاص، وإلا فالإيمان يشمل العمل الذي هو الإسلام والاعتقاد الباطن والأخلاق.
- فالإيمان كأعمال واعتقادات أوسع، لكن بالنسبة للأشخاص، فالمسلمين أكثر من المؤمنين؛ لأن هذا حتى يشمل في ظاهر الأمر، حتى من عنده نفاق.

"إلى أن قال: ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب سبحانه وتعالى يقول: هل من سائل؟! هل من مستغفر؟!".

- فلا توجد تفرقة بين المتواتر والآحاد، ولا يقولون كما يقول المتأخرون: لا نأخذ العقائد إلا من المتواتر، ولا نقبلها من الآحاد، أو حتى يؤولون أيضًا الآحاد كالنزول نزول رحمته أو نزول ملائكته.

"وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافًا لما قال أهل الزيغ والتضليل.

ونعول فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه، ولا نتبع في دين الله ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم.

ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } [الفجر:٢٢]

وأن الله يقرب من عباده كيف شاء، كما قال: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليه مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق:١٦]،

وكما قال: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم:٨-٩].

- وحمل الآية على فعل الرب.
- والصحيح: أن هذه الآية ليست في فعل الرب، وإنما هذا الدنو والتدلي لجبريل عليه السلام.
- سئلت عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقالت: "كان جبريل يأتي محمدًا صلى الله عليه وسلم في صورة الرجال، فأتى هذه المرة في صورة نفسه، فسد أفق السماء".

"إلى أن قال: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا، وما بقي مما لم نذكره بابًا بابًا.

ثم تكلم على أن الله يرى، واستدل على ذلك، ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك، ثم تكلم على من وقف في القرآن وقال: لا أقول: إنه مخلوق ولا غير مخلوق، ورد عليه.

ثم قال: "فقال: إن قال قائل: ما تقول في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله مستو على عرشه، فقال تعالى: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر:١٠]، {بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [المساء:١٥٨]، {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} [السجدة:٥].

وقال تعالى -حكاية عن فرعون: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ } [غافر:٣٦].

كذب موسى في قوله: "إن الله فوق السماوات".

وقال: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [الملك: ١٦]

- فأولئك كثير من الأدلة على قضية العلو، التصريح بالاستواء، صعود الأشياء إليه ورفعها إليه -رفع عيسى عليه السلام، التصريح بتدبير الأمر من السماء إلى الأرض، عروج الأعمال إليه، تكذيب فرعون لموسى في أن إلهه في السماء؛ وهذا يدل على الفطرة السليمة في حيث يعلم أن الرسل إنما يتكلمون عن الله في السماء، وكذلك {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ} قلنا: يا إما في العلو – فتكون السماء مصدر-، أو أن السماء المخلوقة فيه بمعنى فوق.

"فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات، قال: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ}؛ لأنه مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السماوات.

وليس إذا قال: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ} يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات.

ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السماوات فقال تعالى: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا} [نوح:١٦]، ولم يرد أن القمر يملؤهن، وأنه فيهن جميعا.

ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله على عرشه الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله على العرش، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

- فهو هنا يرجح أن السماء هي العرش، وأن فيه معنى فوق، والأقرب أن السماء هي مصدر العلو.
- قضية رفع اليدين في الدعاء هذا مما استقر في الفطرة، وأن الله تبارك وتعالى فوق العرش، وهذا أمر أجمع المسلمون عليه برفع أيديهم في الدعاء إلى السماء.

ثم قال: "وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قوله: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه:٥]، أنه استوى: استولى وقهر وملك".

- أقول: هذا -كما ذكرنا- باطل.
- الحرورية هم الخوارج.

الخوارج وافقوا المعتزلة في معظم مسائل الصفات، في قضية أن القرآن مخلوق، وأن الله لا يُرى في الآخرة، وكذلك الخوارج على طريقة المعتزلة في الصفات -وإن لم يكونوا على طريقتهم في مسائل الإيمان؛ لأنهم لا يقولون المنزلة بين المنزلتين، لكنهم يكفرون عوام المسلمين بالكبيرة.

وإن كان أيضًا المعتزلة موافقين للخوارج أنه حتى المنزلة بين المنزلتين مآله الخلود في النار.

فهو قد غيَّر فقط في الأسماء في الدنيا، لكن مآله الخلود في النار كالكافر بالضبط عند الخوارج مما يفعل الكبيرة، لكنه في مسائل الصفات كالمعتزلة. والمعتزلة والجهمية باب واحد، والجهمية أكثر غلوًا بالأسماء والصفات، إلا أن الجميع اتفقوا في معنى {الرحمن على العرش استوى} أنه استولى وقهر وملك، حتى الأشاعرة المتأخرون المنتسبون إلى

أبي حسن الاشعري يقولون بخلاف قوله هنا، بل ويقولون بقول المعتزلة والجهمية المتقدمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

➢ نرجع مرة أخرى لكلام أبي الحسن.

قال: "وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قوله: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه:٥] استولى وقهر وملك، وأن الله عز وجل في كل مكان".

- وذكرنا أن هذا كلام الجهمية الأوائل الحلولية، وليس كلام الاشاعرة ولا المعتزلة.
- وقلنا أنهم ينفون الزمان والمكان.

قال: "وجحدوا أن يكون الله على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة".

- كل ذلك من التأويل المذموم.

"فلو كان كما ذكروه، كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر على كل شيء. والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى الاستيلاء -وهو عز وجل مستو على الأشياء كلها- لكان مستويًا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادرًا على الأشياء كلها.

ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستو على الحشوش والأخلية، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش بمعنى: الاستيلاء، الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها، وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل".

- هو علو الله عز وجل، له علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر، واستوى بمعنى: علا وارتفع، فهو علو خاص على العرش.

- كل هذا كلام أبي الحسن الأشعري.

ثم قال: "وذكر الآيات في ذلك -في الوجه والعينين والبصر واليدين، ورد على المتأولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته.

مثل قوله: فإن سئلنا أتقولون لله يدان؟!، قيل: نقول ذلك، وقد دل عليه قوله تعالى: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح:١٠]، وقوله تعالى: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته"

"لَمَّا خلقَ اللَّهُ آدمَ مسحَ ظَهرَه فسقطَ من ظَهرِه كلُّ نسمةٍ هوَ خالقُها من ذرِّيَّتِه إلى يومِ القيامةِ"

[صحيح الترمذي]

وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ: "أن الله خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجر الطوبى بيده".

ولا يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويريد بهما النعمة".

- فهنا الدليل اللغوي مهم، لغة الخطاب التي جاء بها الوحي.

وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهومًا في كلامها ومعقولًا في خطابها.

وكان لا يجوز في خطاب أهل البيان أن يقول القائل: فعلت كذا بيدي، ويعني بها النعمة، بطل أن يكون معنى قوله تعالى: {بيدي} النعمة".

- هي إما نعمة، يا إما نعم، لا تأتي أبدًا بيدي على أنها نعمة.

"وذكر كلامًا طويلًا في تقرير هذا".

- فلو كانت بمعنى النعمة؛ لا تثنى، أصلًا في كلام العرب، لكنها تقصد بها الحقيقة وليس المجاز أن له يدان كما يليق بجلاله وكماله.

"وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتلكم -وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده- قال في كتاب (الإبانة) تصنيفه: فإن قال قائل: فما الدليل على أن لله وجهًا ويدًا؟! قيل له قوله: {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن:٢٧]، وقوله تعالى: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥]؛ فأثبت لنفسه وجهًا ويدًا.

فإن قال: فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة، إن كنتم لا تعقلون وجهًا ويدًا إلا جارحة؟ قلنا: لا يجب هذا، كما لا يجب إذا لم نعقل حيًا عالمًا قادرًا إلا جسمًا، أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وتعالى".

- بل لا يجوز في الحقيقة.

يعني لو أنت قلت له: أنا لم أر في حياتي حيًا قادرًا عليمًا سميعًا بصيرًا إلا جسمًا، وعليه فإن لله جسم، ولا يستقيم هذا الاستدلال -نعوذ بالله من ذلك-، بل هو ليس كمثله شيء.

فهذا يظهر فساد استدلال المعتزلة، فهؤلاء كانوا يقولون: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم؛ فجعلوه في الحقيقة بلا صفات، وأن الأسماء من باب الحروف المقطعة؛ وهذا أشد التعطيل.

قال: "وكما لا يجب في كل شيء كان قائمًا بذاته أن يكون جوهرًا".

- يعني يتكلموا في الله هل هو عرض أو جوهر؟!

لا يلزم أن يكون الله جوهرًا، ولا يصح أن يكون عرضًا، بل نصف الله بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ أنه ذات وأسماء وصفات تبارك وتعالى.

" لأنا وإياكم لم نجد قائمًا بنفسه في شاهدنا إلا كذلك".

- هو يستدل ويقول لك: لا بد أن يكون إما جوهر أو عرض؛ لأننا لم نجد في عالمنا إلا ذلك، وطبعًا هذا لا يستقيم، إنما العبرة بما جاء به الكتاب والسنة.

قال: "فهل تقولون أنه في كل مكان؟! قيل له: معاذ الله! بل مستو على عرشه، كما أخبر في كتابه فقال: {الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: ٥]، وقال الله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر:١٠]، {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [الملك:١٦].

قال: "ولو كان في كل مكان، لكان في بطن الإنسان وفمه والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض".

- يعني نمد يدينا إلى الأرض ونحن ندعو، وليس إلى السماء.

"وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.
وقال أيضًا في هذا الكتاب (وكل هذت كلام الباقلاني، وهو يشبه جدًا كلام الأشعري): صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها هي: الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع والبصر والكلام، والإرادة والبقاء، والوجه والعينان واليدان، والغضب والرضا.

- ما بين الصفات الخبرية والصفات الذاتية.

وقال في كتاب (التمهيد) كلامًا أكثر من هذا -لكن ليست النسخة حاضرة عندي-"

- طبعًا هذا أيضًا من الأشاعرة الكبار، ولكنه مختلف عن طريقة المتأخرين من الأشاعرة الذين يؤولون ويثبتون سبعة صفات، ويؤولون الباقي عليها، في الحقيقة لا يثبتون الصفات الخبرية: اليدين والنزول والاستواء وغير ذلك.

"وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في مثل هذا الباب كثير لمن يطلبه، وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام.

وملاك الأمر أن يهب الله للعبد حكمة وإيمانًا، بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويدين، ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء".

- وهنا يرجع مرة أخرى شيخ الإسلام لتأصيل قضية الاستدلال بالكتاب والسنة.

"ولكن كثيرًا من الناس قد صار منتسبًا إلى بعض طوائف المتكلمين، ومحسنًا للظن بهم دون غيرهم، ومتوهمًا أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أتى بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم".

- ليست الحجة في كلام الرجال، إنما الحجة في كلام الله ورسوله ﷺ.

"ثم هم مع هذا مخالفون أسلافهم غير متبعين لهم، فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام أسلافهم؛ لرجى لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى.

ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة، ثم لا يتمسك بما جاءت به من الحق، ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقرة: ٩١]

فإن اليهود قالوا: لا نؤمن إلا بما أنزل علينا، قال الله لهم: فلم قتلتم الأنبياء من قبل إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، يقول سبحانه: لا ما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون، ولا ما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون".

- وهو يستدل عليهم: هكذا جئتكم بكلام الأشاعرة الذين تنتسبون إليهم ما يدل على الحق.

فلو كنت غير متبع للآيات والنصوص وإنما متبع لكلام من طائفتك؛ فها أنا ذا جئتك بكلام طائفتك، هل ستتبع الحق؟!

قال: "ولكن إنما تتبعون أهواءكم، فهذا حال من لم يقبل الحق إلا من طائفته ولا من غيرها، مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان".

- وطبعًا نحن لا ننقل عن هؤلاء الأشاعرة إلا ما وافق الحق.

"وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتابه (رسالة نظامية): اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب".

- طبعًا الصحيح هو: إجراؤها على مواردها، وتفويض بالمعنى إثبات المعاني يعني وتفويض الكيف إلى الله تبارك وتعالى.
- فإجراء الظواهر على مواردها: هو يقصد بها إثبات الاشتراك اللفظي للتواطؤ،فأهل السنة يثبتون أنها من الأسماء المتواطئة التي يوجد منها معنى يفهم في الأذهان، وأما تفصيل هذا المعنى الذي هو الكيفية فهذا الذي ينفى، ومثاله: السماء زرقاء، والثوب أزرق، والسيارة زرقاء، فمعنى الزرقة هنا متواطئ مستقر في الذهن مع أن السماء مختلفة في الكيفية والصفة والهيئة ودرجة الزرق عن الثوب، وكلاهما مختلف عن السيارة.

فالخلاف بين أئمة الأشاعرة القائلين بالتفويض وبين أئمة السلف القائلين بتفويض الكيف.
واعتبار هذه الأسماء من باب الأسماء المشتركة أم من باب الأسماء المتواطئة، والأسماء المشتركة مثل: عين الذي هو الذهب، وعين الماء، وعين الإنسان.
فالألفاظ واحدة، لكن المعاني لا علاقة لها ببعضها. فيقولون لها معنى لا علاقة له بالمعاني التي نعرفها.

نحن نقول: أنها من الأسماء المتواطئة التي يثبت لها معنى يفهم في الذهن إجمالًا، أما تفصيل هذا المعنى وكيفيته فتفويضه لله تبارك وتعالى.

فقال: "والذي نرتضيه رأيًا وندين لله به عقيدةً إتباع سلف الأمة والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة".

- انكفاف السلف عن التأويل: هذا هو الإجماع.

"وقد درج صحب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها وترك ما فيها".

- طبعًا هو يقصد أن الكلام في الكيف، لكن المعنى ثابت -لا شك.

"وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدًا في قواعد الملة، والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها.
فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغًا أو محتومًا؛ لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة".

- عجب! أنه يقول لك أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ كلام باطل وذكرناه في أول الكتاب.

قال: "وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل -التأويل المذموم-، كان ذلك هو الوجه المتبع، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها إلى الرب تعالى".

- معنى هنا معنى الكيفية، وليس أن لها معنى معلوم.

فهي لها معنى معلوم ومفهوم لا شك؛ لأن الله خاطبنا بما نفهم.

طبعًا هو الكلام المحتمل، ولكن نحن نحمله على أفضل المحامل، نكل معناها إلى الله معنى الكيفية.

"فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥]، {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن:٢٧]، وقوله: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} [القمر:١٤]، وما صح من أخبار الرسول ﷺ كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه".

- فهو قد اقترب جدًا للحق، أنها دلت على معانيها اللائقة بجلال الله، ونفوض الكيف إلى الله.

قلت -كلام شيخ الإسلام-: "وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب، وليس كل من ذكرنا شيئًا من قوله من المتكلمين وغيرهم يقول بجميع من يقول في هذا الباب وغيره، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به".

- سبحان الله على إنصافه!

"وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور عنه، الذي رواه أبو داوود في سننه: "اقبلوا الحق من كل ما جاء به وإن كان كافرًا -أو قال: فاجرًا- واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟! قال: إن على الحق نورًا" أو كلامًا هذا معناه.

فأما تقرير ذلك بالدليل، وإماطة ما يعرض من الشبه، وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المهامه".

- مهامه: يعني يقصد به الفتن والصحاري والظلمات.

وهنا يجمل ما كان في الفتوى.

"وقد كتبت شيئًا من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب - إن شاء الله- في ذلك ما يحصل به المقصود.

وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن اتبع كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك يناقض بعضه بعضًا البتة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر من قوله: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد:٤]، وقوله ﷺ: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه" ونحو ذلك، فإن هذا غلط.

- يعني لا تضرب كتاب الله أو سنة رسول الله بعضها ببعض، بل اعلم أن هنالك وجهًا للجمع فإن هذا غلط.

"وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} [السجدة: ٤]، {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} [سبأ:٢]، {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد:٤].

- وهذا معناه: أن الله تبارك وتعالى مستو على عرشه كما يليق بجلاله: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد:٤]بعلمه وإحاطته وقدرته.

قال: "فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا".

- معية الإحاطة والعلم، هي المعية العامة، أو المعية الخاصة بالمؤمنين .

"كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: "والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه".

- كان الحديث ضعيف ولكن معناه صحيح.

"وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت، فليس في ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى.

فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو النجم معنا، ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك.

فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.

ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد -أي: السياقات-، فلما قال: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد:٤]؛ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم.

وهذا معنى قول السلف: "إنه معهم بعلمه"، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

وكذلك في قوله: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} إلى قوله: {هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة:٧].

- ومعهم بعلمه وسمعه.

"ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة:٤٠]، كان هذا أيضًا حقًا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم المعية هنا -معية الاطلاع- والنصر والتأييد".

- طبعًا هذه معية مخصوصة غير المعية العامة.

"وكذلك قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل:١٢٨]
وكذلك قوله لموسى وهارون: {قَالَ لَا تَخَافَاۖإِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ} [طه:٤٦].
هنا المعية على ظاهرها، وحكمها في هذا الموطن النصر والتأييد.

وقد يدخل على صبي من يخيفه، فيبكي، ويشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا تخف أنا معك، أو أنا هنا، أو أنا حاضر، ونحو ذلك.
ينبه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه.

ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها، فيختلف باختلاف المواضع".

- هو هنا يقصد: أن المعية ليست تعني بالضرورة بالحصر المحاذاة أو المماسة، بل هي أوسع من ذلك على حسب كل سياق.

"فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في المواضع الأخرى.
فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها -وإن امتاز كل موضع بخاصية- فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال: قد صرفت عن ظاهرها".

- فهي تختلف على حسب السياق.

"ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية، فإنهما وإن اشتركتا في أصل الربوبية والتعبيد، فلما قال: {بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ} [الأعراف:١٢١-١٢٢] كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق.

فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره: فقد ربه رباه، وربوبيته وتربيته أكمل من غيره.

وكذلك قول: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} [الإنسان:٦]، و{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} [الاسراء:١] .

فإن العبد تارة يعني به المُعّبد فيعم الخلق -أي العبودية العامة- كما في قوله: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا} [مريم:٩٣]، وتارة يعني بها العابد -أي العبودية الخاصة، وهي العبودية الاختيارية وليس عبودية القهر-؛ فيخص، ثم يختلفون، فمن كان أعبد علمًا وحالًا، كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواطن.

ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس (مشككة) لتشكك المستمع فيها، هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة، أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط.

والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة،؛إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعًا مختصًا من المتواطئة، فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

- وهنا يقول شيخ الإسلام وجود واضع اللغة وهذه مسألة مختلف فيها.
هل اصطلح الناس على اللغة عبر مئات السنين؟ أم أن هناك من جلسوا فوضعوا اللغة؟

- والحقيقة أن هذا لا يثبت إلا في بعض الألفاظ الحديثة التي تقررها مجامع، ثم يكثر استعمالها. وفي الحقيقة لو وضعوا شيئًا لا يثبت حتى يكثر استعماله.
- يعني في الحقيقة لا بد أن يستعملها ويصطلح عليها الناس حتى يكون لغة.

قال: "ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات- كإضافة الربوبية مثلًا- وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفور ولا بالتحتية قط، لا حقيقة ولا مجازًا: علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف".

- فهو الله أعلى عليّ جميع الخلق، لكن علوه وارتفاعه على العرش علو مخصوص كما ذكرنا.

"ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب -إن نقله عن غيره- وضال -إن اعتقده في ربه- ".

- لأنه لا يحيط المخلوق بالخالق، هذا فهم فاسد.

"وما سمعنا أحدًا يفهم هذا من اللفظ، ولا رأيت أحدًا نقله عن واحد، ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول الله ورسوله: إن الله في السماء، أن السماء تحويه لبادر كل احد منهم الى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئًا محالًا لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله، بل عند المسلمين أن الله في السماء، وهو على العرش واحد، إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى أن الله في العلو لا في السفل.

وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وسع السماوات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، لا يحيط به، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقًا يحصره ويحويه.

- وقد قال سبحانه: {لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه:٧١]
- وقال: {فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} [آل عمران:١٣٧].

بمعنى (على) ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجاز، وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة في الغالب لا مشتركة.

- المشتركة التي ليس بينها أي قدر مشترك إلا اللفظ فقط، الصحيح أنها متواطئة.

"وكذلك قوله ﷺ: " إِذَا كانَ أحَدُكُمْ يُصَلِّي فلا يَبْصُقْ قِبَلَ وجْهِهِ، فإنَّ اللَّهَ قِبَلَ وجْهِهِ" [صحيح مسلم].

الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي.

بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ أن الانسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضًا قبل وجهه.

وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك -ولله المثل الأعلى، ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا، وإمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق.

فقال النبي ﷺ: "ما من من أحد إلا سيرى ربه مخليًا به"

- أي رؤية منفردة.

فقال العقيلي: كيف يا رسول الله، وهو واحد ونحن جميعًا؟ فقال النبي ﷺ: "سأنبئك بمثل ذلك بآلاء الله، هذا القمر كلكم يراه مخليًا به وهو آية من آيات الله، فالله أكبر" أو كما قال النبي ﷺ.

وقال: " إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ" [صحيح البخاري].

فشبه الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي مشابهًا للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلًا.

ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون إقراره بالكتاب والسنة على ما هم عليه أوكد.

واعلم أن من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وهذا لفظ مجمل.

فإن قوله: ظاهرها غير مراد، يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين.

مثل أن يراد بكون الله "قبل وجه المصلي" أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه، وأن "الله معنا" ظاهره أنه إلى جانبنا ونحو ذلك".

- طبعًا هذا من التأويلات الباطلة.

"فلا شك أن هذا غير مراد.

ومن قال: إن مذهب السلف: أن هذا غير مراد (فقد أخطأ؛ لأن هذا خلل وفساد في الاعتقاد) فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هذا هو ظاهر الآيات والأحاديث".

- من قال أن هذا ظاهر الآيات والأحاديث؟! بالظاهر وما يليق بالله.

"فإن هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع.
اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبًا بهذا الاعتبار"

- يعني هو يرد هذه الشبهة.

"معذورًا في هذا الإطلاق، فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النسبية.

وكان أحسن من هذا أن يبين لمن يعتقد أن هذا هو الظاهر: أن هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظًا ومعنى.

وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله -الظاهر غير مراد عندهم- أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا يختص بصفة المخلوقين، بل هي واجبة لله، أوجائزة عليه جوازًا ذهنيًا أو جوازًا خارجيًا غير مراد، فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف.

- إن حتى ما يليق بالله يفهم من هذه الصفات والأسماء، فهو باطل.
- فكل ما ورد نفهم منه المعاني اللائقة بجلاله وكماله.

"فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب فلا يمكن لأحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل -لا نصًا ولا ظاهرة- أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة".

- وهذا الكلام رد على المعتزلة الذين يقولون: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر.

"وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف، ويقول: إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف.

بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله _عز وجل، ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إلى ذلك. ويقول: الفرق بين الطريقين أن هؤلاء يعينون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره، وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف".

- حتى لا يقول أحد من الأشاعرة المتأخرين: نحن أهل السنة بالتأويل المذموم.

"أما في كثير من الصفات فقطعًا، مثل أن الله تعالى فوق العرش، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهما -الذي لم يحكى هنا عشره- علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم اعتقدوا خلافها هذا قط، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بذلك.

والله يعلم أني بعد البحث التام، ومطالعة ما أمكن من كلام السلف، ما رأيت كلام أحد منهم يدل -لا نصًا ولا ظاهرًا، ولا بالقرائن- على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر؛ بل الذي رأيته أن كثيرًا من كلامهم يدل -إما نصًا وإما ظاهرًا- على تقرير جنس هذه الصفات.

ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة، بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة؛ وما رأيت أحدًا منهم نفاه، وإنما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع إنكارهم على من ينفي الصفات أيضًا.

كقول نعيم بن حماد الخزاعي -شيخ البخاري-: "من شبه الله بخلقه؛ فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه؛ فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا".

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا: هذا جهمي معطل؛ وهذا كثير جدًا في كلامهم، فإن الجهمية إلى اليوم يسمون من أثبت شيئًا من الصفات مشبهًا".

- وطبعًا مخنثين الجهمية هم الأشاعرة المتأخرين.
- يقولون عن من يثبتون الصفات لله -كما يليق بجلاله وكماله- مشبهة ومجسمة وحشوية، ويتهمون بهذا السلفيين.

"حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- بذلك، حتى قال ثمامة بن الأشرس من رؤساء الجهمية: "ثلاثة من الأنبياء مشبهة -حاشا لله- موسى حيث قال: {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ} [الأعراف:١٥٥]، وعيسى حيث قال: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [المائدة:١١٦]، ومحمد ﷺ حيث قال: "يَنْزِلُ رَبُّنا" [صحيح البخاري].

- كفر.

"وحتى أن جل المعتزلة تدخل عامة الأئمة مثل: مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد وغيرهم في قسم المشبهة".

- نسأل العفو والعافية، تلك عادتهم، إطلاق الألقاب الشنيعة على أصل السنة.

"وقد صنف أبو اسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءًا سماه: (تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة)، ذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذه الألقاب.
وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه، يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد، كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي ﷺ بألقاب افتروها.

- فالروافض: تسميهم النواصب.
- والقدرية: يسمونهم مجبرة.
- والمرجئة: تسميه شكاكًا.
- والجهمية: تسميهم مشبهة

- فكل واحد يسمي أهل السنة بإسم شنيع.
- وأهل الكلام: يسمونهم حشوية

- فالروافض يسمونهم نواصب؛ لأنهم ينصبوا أهل البيت العداء.
- والقدريةيسمونهم مجبرة؛ لأن القدرية ينفون القدر، فهم يثبتون القدرة فيقول لك: هؤلاء جبريين.
- والمرجئة تسميهم شكاكا؛ لأنها سنة يجوزون الاستثناء في الإيمان، يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وما من شك، ولكن عن معرفة بأن الإيمان يدخل فيه العمل، وربما لم يوفوا الأعمال حقها فيقول لك: ذو شكاك.
- والجهمية تسميهم مشبهة؛ لأنهم يثبتون الأسماء والصفات.
- وأهل الكلام يسمونهم حشوية؛ لأن أهل الكلام يجردون النصوص عن المعاني أو يؤولونه، ونوابت نابتة هناك أعمار وأحداث لا يفهمون ولا يحسنون شيئًا.
- وغثاء وغثرة؛ السفلة من الناس

"إلى أمثال ذلك، كما كانت قريش تسمي النبي ﷺ تارة مجنون، وتارة شاعر، وتارة كاهن، وتارة مفتريًا.

قالوا: فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة، فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه اعتقادًا واقتصادًا، وقولًا وعملًا".

- طبعًا النبي صلى الله عليه وسلم هو العلم وكذلك البلاء، أشد الناس بلاءًا الأنبياء ثم الصالحون.

"فكما أن المنحرفين عنهم يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة -وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة- فكذلك التابعون له على بصيرة -أتباع الرسل- الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات، باطنًا وظاهرًا".

- لهم نصيب من هذا البلاء.

"وأما الذين وافقوا بواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر".

- وهذا في المكره، الذي يخشى على نفسه القتل أو السجن فهو مكره.

"والذين وافقوا بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن".

- لا يكون إلا بتقصير؛ لأن الباطل لا سلطان لأحد عليه إلا الله -نسأل الله العفو والعافية.

"والذين وافقوا ظاهرًا وباطنًا بحسب الإمكان".

- وهذا هو الواجب لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

"فلا بد من المنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيه نقصًا يذمونهم به، ويسمونهم بأسماء مكذوبة -وإن اعتقدوا صدقها- كقول الرافضي: من لم يبغض أبا بكر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه فقد أبغض عليًا".

- عجب!

"لأنه لا ولاية لعلي رضي الله عنه إلا بالبراءة منهما، ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبيًا، بناء على هذه الملازمة الباطلة، التي اعتقدوها صحيحة، أو عاندوا فيها وهو الغالب.

وكقول القدري: من اعتقد أن الله أراد الكائنات، وخلق أفعال العباد؛ فقد سلب من العباد الاختيار والقدرة".

- من قال ذلك؟! بل هو خلق أفعال العباد، وجعل لهم إرادة وقدرة بها تقع أفعالهم، وخلق إرادتهم وقدرتهم وأفعالهم، ولم يجعلهم مجبورين.

قال: "وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة لها".

- لأن القدري المعتزلي يقول: إن الإنسان يخلق فعله -حاشا لله.
- بل نحن نؤمن بالقدر -علم الله السابق- وكتابته المقادير، ومشيئته النافذة، وقدرته الشاملة، وخلق أفعال العباد، ولا تعارض في ذلك.

"وكقول الجهمي: من قال أن الله فوق العرش؛ فقد زعم أنه محصور، وأنه جسم مركب محدود، وأنه مشابه لخلقه".

- كل هذا ضلالات وانحرافات، فنحن نثبت له استواءًا يليق بجلاله عز وجل، والله أكبر من العرش ولا يحيط به تبارك وتعالى، وهو بائن من خلقه، منفصل عنهم، لا يحل فيهم ولا يحلون فيه.

"وكقول الجهمية المعتزلة: من قال: إن لله علمًا وقدرة؛ فقد زعم أنه جسم مركب، وأنه مشبه؛ لأن هذه الصفات أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز، وكل متحيز فجسم مركب، أو جوهر فرد، ومن قال ذلك فهو مشبه؛ لأن الأجسام متماثلة".

- كل هذا لوازم لا نلتزم بها، لا نقول: جوهر ولا عرض، ولا نقول: جسم؛ بل نقول: نثبت له الصفات التي أثبتها لنفسه عز وجل -كما يليق بجلاله وكماله، ولا نلتزم بلوازم أهل الكلام ولا الفلاسفة ولا هذه الاصطلاحات السخيفة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

"ومن حكى عن الناس (المقالات) وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة بناء على عقيدتهم التي هم مخالفون له فيها؛ فهو وربه، والله من ورائه بالمرصاد، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله".

- فهو وربه: أي سيلقى ربه.
- يعني لا نلتزم بالجوهر ولا بالعرض ولا بالجسم ولا بالتبعض ولا غير ذلك، بل نقول: هذه الصفات لله عز وجل، ما بين صفات ذاتية وصفات فعلية، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

"**وجماع الأمر:** أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة.

- قسمان يقولان: تجرى على ظواهرها.
- وقسمان يقولان: هي على خلاف ظاهرها.
- وقسمان: يسكتون.

أما الأولان: فقسمان: -

١- أحدهما: من يجريها على ظاهرها، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين؛ فهؤلاء المشبهة، ومذهبهم باطل، بل أنكره السلف، وإليهم توجه الرد بالحق.

٢- الثاني: من يجريه على ظاهرها اللائق بجلال الله، كما يجري ظاهر اسم (العليم، والقدير، والرب، والإله، والموجود، والذات) ونحو ذلك، على ظاهرها اللائق بجلال الله.

فإن ظواهر هذه الصفات بحق المخلوقين: إما جوهر محدث، وإما عرض قائم به.
فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك، في حق العبد أعراض".

- ما يعرض له، يعني ليس ثابتًا.

"والوجه واليد والعين في حقه أجسام".

- هذا الكلام على المخلوق.

"فإذا كان الله موصوفًا عند عامة أهل العلم إثبات بأن له علمًا وقدرة وكلامًا ومشيئة -وإن لم يكن ذلك عرضًا، يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين- جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليست أجسامًا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين.
وهذا هو المذهب الذي حكاه (الخطابي) وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم".

- هذا هو الصحيح، مع أن الخطابي يؤول بعض الصفات ويراها ثبت بأحاديث آحاد مثل أحاديث الأصابع، وهو مخطئ في ذلك.
- إننا لا نتكلم عن الصفات طبعًا على الكلام عن الذات، فكما أن ذات الرب ليست كذوات المخلوقين؛ إذًا لا نتكلم عن الجوهر ولا العرض ولا الجسم، كذلك صفاته ليست كصفات المخلوقين.

قال: "وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضح، فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات؛ فصفاته ثابتة حقيقية من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.

فمن قال: لا أعقل علمًا ويدًا إلا من جنس العلم واليد المعهودة.
قيل له: فكيف تعقل ذات من غير جنس ذوات المخلوقين؟!"

- فلا بد له أن يثبت الذات وإلا يكفر، فإن الجهمية والمعتزلة يثبتون الذات.

"ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب -الذي ليس كمثله شيء- إلا ما يناسب المخلوق؛ فقد ضل في عقله ودينه.

وما أحسن ما قال بعضهم: إذ قال لك الجهمي: كيف استوى، وكيف ينزل إلى السماء الدنيا، وكيف يداه ونحو ذلك؟!

فقل له: كيف هو في ذاته؟!

فإذا قال لك: لا يعلم ما هو إلا هو، وكنه الباري تعالى غير معلوم للبشر.

فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف، ولم تعلم كيفيته؟!".

- أنت لا تعرف كيفية الطرف مثل كيفية الصفات.

"وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي له".

- سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

"بل هذه المخلوقات في الجنة، وقد ثبت عن ابن عباس أنه قال: "ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء".

في الجنة أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فإذا كان نعيم الجنة هو خلق من مخلوقات الله كذلك، فما الظن بالخالق عز وجل!

وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله!

مع أننا نقطع بأن الروح في البدن، وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء، وأنها تسل منه وقت النزع، كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة.

لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم، حيث نفوا عنها الصعود والنزول، والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته".

- طبعًا -لا شك- أن اتصال الروح بالبدن اتصالات متفاوتة، يعني اليقظة غير في المنام، غير ما بعد الموت في القبر، وكذلك بعد البعث حيث عودة الأرواح للأجساد.

"فعدم ممثالتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونون قد أخطأوا في اللفظ، وأنى لهم ذلك؟!

ولا نقول أنها مجرد جزء من أجزاء البدن: كالدم والبخار مثلًا، أو صفة من صفات البدن والحياة، وأنها مختلفة الأجساد".

- لا نقول عنها أنها كجسم مادي.

"ومساوية لسائر الأجساد في الحد والحقيقة، كما يقول طوائف من أهل الكلام، بل نتيقن أن الروح عين موجودة غير البدن (هذا هو الصحيح)، وأنها ليست مماثلة له، وهي موصوفة بما نطقت به النصوص حقيقة لا مجازًا.

فإن كان مذهبنا في حقيقة الروح وصفاتها بين المعطلة والممثلة، فكيف الظن بصفات رب العالمين؟!

- حتى الكيفية لا نعرفها في أمر الروح، فكيف بذات الرب تبارك وتعالى؟!

- فالذين يثبتون قلنا يوجد منهم مشبهة ومنهم من يثبت المعاني اللائقة؛ وهذا هو الصحيح.

"وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها -آيات الأسماء والصفات، أعني الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط، وأن الله لا صفة له ثبوتية، بل صفاته إما سلبية وإما إضافية".

- الصفات السلبية: منفية، والصفات الإضافية: ما قام به غيره ونسب إليه، كقوله في الحديث: "مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي" [صحيح مسلم] مثلًا، فإن المرض ليس صفة لله، كقوله: "ناقة الله، وظل الله، وبيت الله"، فهو في الحقيقة ينفي صفات الله.

"وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات -وهي الصفات السبعة، أو الثمانية، أو الخمسة عشر، أو العشرين- كما عند الأشاعرة والماتريدية".

- طبعًا من أين هذه الأعداد؟! ولما أولتم بقية الصفات؟! لا توجد أجوبة غير الأهواء، وما يدعون أنه يقبله العقل.

"أو يثبتون الأحوال دون الصفات".

- هذا عند المعتزلة، يجعلون حالًا وليس صفة، ويقرون من الصفات الخبرية بما في القرآن دون الحديث على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين الذين ينفون أحاديث استمداد العقيدة من أحاديث الآحاد.

"فهؤلاء قسمان: -

- قسم: يتأولونها ويعينون المراد، مثل قولهم استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علو المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلفين.
- هذا أقرب إلى الأشاعرة والماتريدية.
- وقسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمنا.
- يقولون لها معان مجهولة الله أعلم بها.

وأما القسمان الواقفان: -

- فقسم يقولون: يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز ألا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.
- وقوم: يمسكون عن هذا كله، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم عن هذه التقديرات.

فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها".

- ما بين التعطيل وبين التأويل، والذي يتضمن التحريف، وما بين التشبيه وما بين الإثبات مع التنزيه، وهو إثبات المعاني اللائقة أو التوقف.

"والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها، القطع بالطريقة الثابتة كالآيات والأحاديث الدالة على أن الله سبحانه فوق عرشه عز وجل، وتعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك، دلالة لا تحتمل النقيض، وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض".

- يعني توجد بعض الآيات مختلف فيها، هل هي أصلًا من آيات الصفات أم لا؟!
  {فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة:١١٥]، هل معناها قبلة الله، أم إثبات الوجه؟!
  والأقرب: أنها ليست من آيات الصفات -وإن كانت لا يطلق هذا إلا لمن له وجه في الحقيقة.

قال: "ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره، فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام يصلي من الليل قال: "اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بيْنَ عِبَادِكَ فِيما كَانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِما اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحَقِّ بإذْنِكَ؛ إنَّكَ تَهْدِي مَن تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [صحيح مسلم]

وفي رواية لأبي داوود أنه: كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك.

فإذا افتقر العبد إلى الله، ودعاه وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ انفتح له طريق الهدى.

ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام الفلاسفة والمتكلمين في هذا الباب، وعرف أن غالب ما يزعمونه برهانًا وهو شبهة؛ رأى أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها، أو شبهة مركبة من قياس فاسد، أو قضية كلية لا تصلح إلا جزئية، أو دعوى إجماع لا حقيقة له، أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة".

- فهذه خلاصة أسباب الانحراف: أن يجعل القضية كلية وهي ليست كذلك، فهي ثابتة في جزء، غير ثابتة في جزء آخر.
- كقول: أن الله لا يحويه زمان ولا مكان، هذا صحيح في جزء أن الله تعالى لا يحوطه مكان مخلوق، لكن لا يصح في جزء الزمان؛ لأن الزمان ليس شيئًا حسيًا له تعلق يحيط، فالله عز وجل قد أحاط بالقبل وبالبعد، فتصح في جزئية لا مكان.
- كما يقول، ولا مكان ولا زمان وهو على ما كان كما كان قبل خلق الزمان والمكان، وكلامه من هذه النوعية.

هو يأتي بعموميات، والعموميات هذه لها تخصيص بالأدلة، أو يدعي دعوة لا حقيقة لها ككلام الروافض: أنه لا تصح موالاة علي إلا ببغض أبي بكر وعمر، أو شبهة مركبة من قياس فاسد، كقولهم: إذا أثبتنا صفة هي عندنا عرض، أو هي عندنا بعض منا، فقد أثبتنا التجسيم!

وهذا قياس فاسد؛ لأن المخلوق لا يقاس بالخالق، والخالق لا يقاس بالمخلوق.

"ثم إن ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عما لم يعرف اصطلاحهم؛ أوهمت الغر ما يوهمه السراب للعطشان، ازداد إيمانًا وعلمًا بما جاء به الكتاب والسنة، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وكل من كان بالباطل أعلم، كان للحق أشد تعظيمًا، وبقدره أعرف".

- إذا هدي إليه، طبعًا هذا يكون بعد دراسة الحق.

"فأما المتوسط من المتكلمين، فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه، وعلى من قد أنهاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه فهو في عافية، ومن أنهاه فقد عرف الغاية، فما بقي يخاف من شيء آخر، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله، وأما المتوسط فيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليدًا لمعظمه وتهويلًا.

وقد قال بعض الناس: أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في: {قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ} [الذاريات:٨-٩] يعلم الذكي منهم والعاقل: أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست ببينة، وإنما هي كما قيل فيها: حجج تهافت كالزجاج تخالها ..... حقًا وكل كاسر مكسور.

ويعلم العليم البصير بهم أنهم -وهم الفلاسفة والمتكلمون- من وجه المستحقون ما قاله الشافعي حيث قال: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام".

- فالمنتهي في الحقيقة من علم الكلام، اعرف حقيقته أنها مزيفة، وأنهم مختلفون، وأنهم في قول مختلف يؤفك عنهم من أفك، ومن لم يدخل فيه فهو في عافية.
- وأما المتوسط هو الذي يكون منبهر.

"ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر -والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم- رحمتهم ورفقت عليهم، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهومًا وما أعطوا علومًا، وأعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأحقاف:٢٦].

ومن كان عليمًا بهذه الأمور؛ تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم".

- إذًا فطريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم.

"حيث حذروا عن الكلام، ونهوا عنه، وذموا أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد من الله إلا بعدًا.

فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين، آمين.

- والحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه أجمعين.
- وأهل السنة يعلمون الحق ويرحمون الخلق، وبذلك تمت الفتوى الحموية بفضل الله وحوله وقوته ورحمته وكرمه وجوده.

❖ بإذن الله سيكون الاختبار فيها بإذن الله تبارك وتعالى (السبت القادم)، لتتم الإجازة بإذن الله تبارك وتعالى لمن سمع وحضر، واستمع واختبر.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك